



ظاهرة التكفير و أثرها على العلاقات الدولية

دليلة مباركي

جامعة باتنة – الجزائر

mebarkidalila@yahoo.fr

معلومات البحث

الاستلام: 2012/5/18
القبول: 2012/6/5
النشر: 2012/7/15

ISSN: 2231-8968

مقدمة:

إن ظاهرة التكفير في العالم الإسلامي ظاهرة قديمة جديدة، فهي ليست وليدة العصر الحديث وإنما يرجعها معظم الباحثين إلى العهد الأول للإسلام وبالتحديد إلى وقت ظهور فرقة الخوارج ولا يعني هذا أن هذه الظاهرة انتهت بانتهاء الخوارج وانهزامهم وتشرذمهم، وإنما بقيت منتشرة في العالم الإسلامي بشكل وبآخر تظهر في فترة لتختفي في أخرى والفكر الإسلامي حافل بشواهد التكفير والتبديع والتفسيق للحكام وللعلماء والفقهاء ولعامة الناس من المسلمين، وبالنسبة لوقتنا الحاضر يمكن القول بأن العصر الحديث يشهد الظهور الأكبر لهذه الظاهرة من جديد فلم يشهد تاريخ المسلمين ولا الفكر الإسلامي اشتدادا ولا انتشارا لهذه الظاهرة كما هو اليوم.

أولا: الإطار المفاهيمي للدراسة:

1- مفهوم ظاهرة التكفير:

أما الظاهرة فتعني الشيء الذي ظهر ويلاحظ من خلال تكراره، بمجموعة من الخصائص و المواصفات و في فترات تاريخية متلاحقة، على نطاق أو رقعة جغرافية واسعة، فعندما يظهر سلوك ما في مجتمع من المجتمعات وينتشر ويتكرر خلال فترات تاريخية طويلة، ويتخذ بعض الصفات ويتكرر وفق بعض الشروط، يصبح عند إذ ظاهرة من الظواهر التي يتطلب البحث و الدراسة و العناية[1] من قبل المهتمين و الباحثين، هذا الوصف الذي يمكن أن ينطبق على التكفير في الفكر الإسلامي المعاصر فقد أصبح أمرا مقلقا للعلماء و الحكام على حد سواء حيث أصبح المجتمع مهددا بهذه الأفكار الخاطئة التي يتبناها أفراد الأمة الإسلامية ويمكن أن نشير إلى معنى الظاهرة من خلال ما ورد في بعض القواميس، يعرف قاموس LA ROUSSE الظاهر بأنها الحدث أو الفعل الذي يضرب، و يؤثر بجديده لخصائصه المتميزة[2] فالظاهرة هي الفعل الذي يظهر و يحمل معه خصائص جديدة يؤثر بها في المجتمع الذي يظهر فيه.

و التكفير أصبح ظاهرة منتشرة في ساحة الفكر الإسلامي بشكل ملفت للنظر من قبل جماعات لا تحمل في ذهنها أفكارا علمية مبنية على الحجة والإقناع بل أفكارا مبنية على المصالح الضيقة و الأنانية المفرطة، و لذلك يعد التكفير من الظواهر الخطيرة التي تنخر كيان الأمة و تحتم علينا دراستها والبحث العميق في أسباب انتشارها و لم لا كيفية التحكم فيها أو التقليل من آثارها الوخيمة وذلك من خلال طرح فكرة الاعتدال والوسطية التي ينبني عليها الدين الإسلامي الحنيف.

---

(1) - السعيد رحماني: ظاهرة التكفير في الفكر الإسلامي المعاصر، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، 2007-2008، ص 25

(2) – Le petit Larousse grand format, 1996, la rousse paris , p 774

2– مفهوم العلاقات الدولية و أسس قيامها:

العلاقات الدولية هي تلك العلاقات و الروابط التي تقوم بين أعضاء الجماعة الدولية و تحكمها عهود و مواثيق و معاهدات دولية تفرض التزامات على أطرافها و ترتب لها في نفس الوقت حقوقا يطالبون بها سواء أكان ذلك في المجال الدبلوماسي أم في المجال الاقتصادي أو الثقافي أو غير ذلك، و وجود العلاقات الدولية يحتاج إلى أشخاص يكونون في خدمتها و رعايتها و نموها و تذليل العقبات التي قد تعترض سبيلها و من هنا وجدت العلاقات الدبلوماسية و القنصلية حتى قبل أن تتشابك و تتعقد العلاقات الدولية في العصر الحديث[1].

فالدبلوماسي له دور كبير في الإبقاء على العلاقات و الاتصالات المباشرة بين الحكومات المعنية و تبادل وجهات النظر و حل الأزمات السياسية الطارئة التي تؤثر على مجمل العلاقات الأخرى، و القنصل له دور هام في خدمة رعايا الدولة المقيمين بالخارج كالزيارة أو التعليم أو العلاج، كما أن له دورا في المجال الاقتصادي و التجاري و تسهيل قدوم الرعايا الأجانب للسياحة و غير ذلك.

و التجاور بين الدول إن لم يؤد إلى قيام علاقات و روابط قوية فقد يكون سببا في الاحتكاك و الاختلاف و التوتر من أجل السعي وراء المكاسب، فمصالح الدول ليست متفرقة على الدوام، لأن الحياة الدولية عبارة عن مزيج صعب من علاقات التعاون و صراعات المصالح، ولا يمكن أن تكون هدوءا أبديا ولا صراعا مستمرا، فهي خليط من هذا و ذاك مثل علاقات الأفراد في المجتمع الداخلي[2] ولذلك يحدث ما يعكر صفو هذه العلاقات في بعض الأحيان بسبب الأطماع الإقليمية كوجود ثروات بترولية أو معدنية مثل الحديد والفوسفات والذهب والفضة و غيرها كما هو موجود في الدول العربية ودول شمال إفريقيا مثلا.

[1] - علي إبراهيم : العلاقات الدولية في وقت السلم، دار النهضة العربية، 1989 ، ص 8
[2] - علي إبراهيم : المرجع السابق، ص 9

وقد يحدث أيضا الاختلاف حول تفسير وتطبيق المعاهدات الدولية وعليه فإن هناك ضرورة لحل مثل هذه الاختلافات ولا بد أن يكون الحل سلميا متفقا مع" قواعد القانون الدولي" و مع ما يجب أن يكون عليه المجتمع الإنساني المتطور البعيد عن التعصب والأنانية والبغض والحقد وإلا فإن الإنسان الذي وصل إلى كل هذا التطور الحديث لا يستحق هذا اللقب (أي المجتمع الإنساني المتطور).

ثانيا: أثر ظاهرة التكفير على العلاقات الاقتصادية الدولية:

إن تدني الموارد الاقتصادية في كثير من الدول الإسلامية قد يؤدي إلى مشكلات اجتماعية خطيرة و أهمها انخفاض مستوى معيشة الأفراد ، و تفشي البطالة بين المتعاملين و ركود التنمية المستدامة في المجتمع وفقدان المواطن الثقة في المستقبل، وانتشار مظاهر الانحرافات الأخلاقية في المجتمع، وربما من أهم الآثار للتكفير على الاقتصاد :

1- ضعف الاستثمارات الأجنبية في الدولة المتهمة بتمويل أو الترويج للتطرف : إن تردي الأوضاع الاقتصادية في بلد ما يؤدي إلى زيادة الفقر والعوز، ويتبع ذلك حالات انتشار البطالة وهدر الطاقات والقوة العاملة وهذا سيؤدي إلى المقولة المعروفة البطالة تورث الرذيلة، والفقير الذي يلفه الحرمان ويشعر بالقسمة الظالمة للفرص والحقوق ستتولد عنده حالات من النقمة والتمرد والغضب وهذه حتما تؤدي إلى حالات عنيفة في التعبير والسلوك[1]

وجميع هذه المشكلات تكون سببا في ضعف الولاء في المجتمع أو ما يطلق عليه بالمواطنة، واهتزاز الثقة فيما بين المواطن والقائمين عليه، واتهامهم- بحق أو بغير حق بمختلف أنواع الفساد وهذا يمهد للنافخين في الكير أن يقوموا بحملات التضليل التي يستهدفون بها الشباب ويحاولون دفعهم إلى الغلو والتطرف والعنف داخل المجتمع، وكل هذا يؤدي حتما إلى إحجام الدول الأخرى عن الاستثمار داخل تلك الدولة خوفا على أموالهم وأرواحهم،تفاديا لدخولهم

---

[1] - السحمراني أسعد، التطرف و المتطرفون، دار النقاش، لبنان، ط1، 1999، ص174

في مشاريع تفقدهم في نهاية المطاف كل ما يصبون إليه وهذا يجعل الدولة تتخبط في أمور جانبية تؤثر سلبا في نموها وتطورها.

2- طرد العمالة المسلمة من المجتمعات الغربية : قبل التطرق إلى عملية طرد العمالة المسلمة من المجتمعات الغربية يتبادر لدينا سؤال مهم جدا : ما السبب الذي جعل الجالية العربية المسلمة تهجر أوطانها لتستقر في بلاد العم سام لتحقيق بعض الأحلام؟ فالإجابة واضحة؛ فالجالية اضطرتها الظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت تعيشها في أوطانها حيث لعب الاستعمار الدور الأساسي لأن معظم الدول العربية كانت مستعمرة من قبل الدول الأوروبية مما دفع بأبناء الوطن إلى الهجرة للبحث عن حياة أفضل و القضاء على الفقر هذا من جهة.

ومن جهة أخرى عمدت الدول الأوربية على استقطاب العمالة من الدول العربية المسلمة وزجت بها في الأعمال الشاقة كالبناء ،شق الطرقات،السكك الحديدية، المناجم وغيرها وعلى أكتافهم بنيت الحضارة الأوروبية على الرغم من المبالغ الزهيدة التي كانت تمنح لها،فقد عانت الجالية من التهميش والعنصرية والظلم وعدم المساواة وصعوبة اندماجها في المجتمعات الغربية نظرا لوجود إيديولوجيات مختلفة، فبدأت تظهر في أوروبا بعض الظواهر كالتطرف الديني والأصولية والعمليات الإرهابية وقد تكون من أبناء الجالية المسلمة أو من المواطنين الأوروبيين الناقمين على أوضاعهم الاجتماعية، إلا أن هذه الدول عملت على إلصاق التهم للجالية المسلمة ومن هنا بدأت تفكر في طرد العمالة العربية المسلمة بحجة أنهم هم المتسببون في العمليات التفجيرية الإرهابية وزعزعة الأمن في دولهم.

ثالثا:أثر ظاهرة التكفير في العلاقات السياسية الدولية:

1 - **تشويه صورة الإسلام عند الغرب:**

إن تشويه صورة الإسلام عند الغرب أصبح حقيقة لا مفر منها خاصة بعد أحداث الثلاثاء الأسود 11سبتمبر 2001 فإن متطلبات التحليل تقتضي منا الوقوف حول الأسباب التي أدت إلى إبراز هذه الصورة القاتمة السوداء،والواقع أن الإعلام الغربي لعب دورا أساسيا في غياب الإعلام العربي المضاد،فلا يختلف اثنان في أن الغرب سخر كل ما لديه من وسائل مادية وبشرية وكذا وسائل الإعلام المتطورة ليروج بحرب عنصرية عدائية صليبية كما وصفها الرئيس بوش خلال غزوه للعراق موجهة للعرب والمسلمين حيث تناقلتها الفضائيات وتبعتها الصور الكاريكاتورية المسيئة لتبث سمومها وتصف المسلمين بأبشع الصور وأبلغها أنهم مصاصو الدماء لتبقى الصورة البشعة محفورة في أذهان أطفال العالم ليتلقاها جيل بعد جيل وذلك في غياب الوعي الإعلامي العربي المضاد لتصحيح وإعطاء الصورة الحقيقية للدين الإسلامي اللهم إلا بعض الأصوات الفردية التي تعد على الأصابع كالحملة التي قادها بعض الدعاة المسلمين إلى الدانمارك (الداعية عمرو خالد، طارق السويدان، علي الجفري) للرد على الصور الكاريكاتورية ولكن هذه الجهود محدودة لا تقوى على التصدي لمؤسسات ضخمة تملك حجية الإقناع بوسائلها الخاصة وتقف وراءها اللوبيات الصهيونية.

ولا أحد ينكر أن العرب المسلمين ساهموا بقسط كبير في تجسيد هذه الصورة في الأذهان حينما ظهرت الجماعات الأصولية المتطرفة والتي تكفر كل من يخالفها في الرأي أو الأفكار التي تتبناها كتلك الجماعات التي ظهرت في الجزائر خلال العشرية السوداء – 1990إلى 2000 والتي ترعرعت في الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا حيث أعطت الدعم (اللوجيستي) لهذه الجماعات.

فقد ساد الفساد بين المسلمين أنفسهم حيث كانوا يتفننون في القتل والتنكيل والتعذيب،القتل الجماعي والتفجيرات حيث أصبح الكل يردد عبارة "من يقتل من" ليعطوا صورا ما أنزل الله بها من سلطان فكيف لهؤلاء المسلمين أن يتفقوا على رؤيا مشتركة للحوار مع الغرب وهم عجزوا عن التحاور فيما بينهم؟

والإشكالية المطروحة هي الافتقاد إلى طريقة مثلى للحوار وهل لكل من هب ودب أن يتحاور وهو على جهالة بمبادئ هذه الديانة[1]

وعليه فإذا أردنا أن نتصدى لهذه الهجمات الشرسة فلابد من إعادة بناء ما هدم على أسس صحيحة وأن نتصالح مع أنفسنا وشعوبنا وعلينا أن نأخذ في الحسبان أن القوة تخلق الحق وبالتالي فإن هذه الوضعية التي تتسم بالتخلف والتجزئة من أولويات ما يجب معالجته لأن الصراع المستقبلي سوف يكون صراعا معلوماتيا[2]

و بالتالي البقاء لمن يملك هذه التقنيات ويوجهها الوجهة التي تخدم مصلحة أمته ودينه.

2– الترويج لفوبيا الإسلام :

إن العمل على تشويه صورة الإسلام و المسلمين أمر معروف عبر التاريخ، وهو ينشط أو يضعف وفق ضعف المسلمين و قوتهم، إلا أن سعير هذه الحملة أصبح اليوم أكثر شراسة قبل أي وقت مضى، و أكثر انتشارا بما أتيح له من أدوات البث المباشر و أساليبه الحديثة المتمثلة في وسائل الإعلام، و أن هذا الإعلام يساهم في نشر التطرف و الغلو و التكفير بطريقتين، الأولى هي حملات التشويه التي تستهدف الإسلام و شريعته و قيمه، و هذا ظاهر وجلي

---

[1] - د/ عواشرية رقية،صور الإسلام عند الغرب ،مجلة الصراط ، كلية العلوم الاسلامية، الجزائر2004،ص362

[2] - عبد العالي دبلة وبلقاسم سلاطنية، من حوار الثقافات إلى صدام الحضارات،مجلة الاحياء، كلية العلوم الاسلامية والاجتماعية،جامعة باتنة2002ص154

في هذا العصر، والثانية ما يعرضه على الناشئة من برامج و أفلام[1]، و لقد تداعت له أمم الشرق و الغرب و بعد أن انتهت الحرب الباردة بينهم، واتفقوا على أن العدو الأوحد هو الإسلام و من ثم ركزوا حملاتهم الإعلامية و بتشويه صورة الإسلام بالمسلمين، ليس فقط في عيون المسلمين أنفسهم لكن في عيون غير المسلمين أيضا و اعتمدوا في ذلك على عدة عوامل نذكر منها :

- بث الفرقة بين المسلمين في البلد الواحد بتكريس العداوة و البغضاء بين القوى الاجتماعية المختلفة و تعضيد المنحرف من الفرق ليحارب بعضهم البعض الآخر.
- غرس الخلافات بين البلدان الإسلامية وإشعال الحروب بينهم فيكون بأس المسلمين بينهم، وتدور الدائرة عليهم، وتضعف شوكتهم و يظهروا بمظهر غير المتحضرين أمام الرأي العام العالمي.
- إبراز أعمال العنف التي يقوم بها بعض الأفراد والمجموعات المنتسبة للإسلام وتشجيعها، و وصفها بأوصاف تنسبها للإسلام، مثل (الأصولية الإسلامية، التطرف الإسلامي، الإرهاب الإسلامي) لإظهار الإسلام بأنه مصدر لهذه الأعمال، هذا فضلا عن حملة التشويه الفكري الذي يقوم به المنصرون والمستشرقون[1].
- إظهار الدين الإسلامي على أنه دين متخلف لا يرقى إلى مواكبة عصر التكنولوجيا[2]، هذه العوامل ساعدت الدول الأجنبية على استقطاب لبعض العناصر الإسلامية و استخدامها كأدوات لزرع العنف ضد مجتمعاتها بهدف تخليصها من "التخلف و من الأنظمة الطاغوتية والدكتاتورية المستبدة و من البطالة و الفساد" إلى آخر تلك القائمة البراقة و المغلفة بأهداف تبدو نبيلة في مقصدها، بريئة في مرماها و لكن المغزى الحقيقي من هذا كله هو إثارة الفتنة داخل المجتمعات الإسلامية وصولا إلى عدم الاستقرار الأمني فيها ومن ثم استقطاب جهود الدولة و مؤسساتها إلى

---

[1] - أسعد السحمراني، مرجع سابق ص 152.
[1] - أسعد السحمراني: المرجع السابق، ص 153.
[2] – السعيد رحماني، المرجع السابق، ص 417.

العمل لإعادة الأمن و الاستقرار و تخليها بطبيعة الحال عن القيام بأمور التنمية بما في ذلك التعليم أو التنمية البشرية، وهذا الأمر جد خطير في وقت تتصارع الدول نحو التقدم والرقي وتتصارع القوى لاحتلال مكان الصدارة في قيادة و زعامة العالم.

بالإضافة إلى ذلك فإن الجهات الأجنبية تتخذ العنف دليلا على أن المسلمين قوم عدائيون لا يعرفون التحضر و يطربون لسفك الدماء و من ثم ينبغي محاربتهم إلى أن يتخلوا عن التمسك بهذا الدين، الذي جعل منهم أعداء للتقدم و التحضر و القيم الإنسانية و التخلي هنا لا يعني اعتناق دين آخر لأنهم يعلمون أن هذا مستحيل و لكن يعني إهمال شعائر الدين و العيش بلا انتماء و بلا هوية و قد عبر عن هذا المعنى القس زويمر في مؤتمر المبشرين في منتصف القرن الماضي في قوله" إن المهمة التي أرسلتكم البلدان المسيحية من أجلها للبلدان المحمدية ليست هي إدخالهم في المسيحية فإن في هذا هداية لهم و تكريم، و لكن المهمة أن تخرجوهم من دينهم، فيصبحوا أشخاصا بلا هوية و هذا ما نجحتم في تحقيقه حتى اليوم و هذا ما أهنئكم عليه[1].

رابعا: أثر ظاهرة التكفير على العلاقات الاجتماعية و الشعوب:

يكتسب الدور الاجتماعي مكانة هامة في ضبط السلوك الفردي في الحياة العصرية بسبب النمط الجديد الذي طبع الحياة الإنسانية في ضل النمط العمراني الحديث، و طريقة الحياة الاجتماعية و من هنا تبرز أهمية المجتمع في توجيه السلوك الفردي و التحكم في ثقافة وسلوكات الأفراد و كل خلل في حياة المجتمع ينعكس على سلوك أفراده، و قد بين العلامة الشيخ القرضاوي في أسباب علاج التطرف مدى أهمية دور المجتمع في هذه القضية في كتابه الصحوة الإسلامية[2] و تأثير الحياة الاجتماعية في توجيه الأفراد تتمثل في العناصر التالية:

[1] - سعد الدين سيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة رحاب، الجزائر ، ص 53.
[2] - الشيخ القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود و التطرف، ص 133.

- القصور و العجز في التربية الدينية.
- ازدراء الرأي الآخر و عدم مراعاة آداب الخلاف.
- عدم فتح قنوات للحوار أمام الشباب.

وتتجلى آثار ظاهرة التكفير على العلاقات الاجتماعية والشعوب في عدة نقاط نذكر منها :

1- إذكاء روح الكراهية على أسس دينية :

لعل أهم ما يلاحظ في نتائج التكفير في الوقت الراهن هي الصورة المشوهة للإسلام لأن الكثير من الأفعال التي ترتكب في العالم من تفجير و تقتيل و تدمير تتم في الغالب باسم الجهاد و باسم الله و هذا ما يجعل صورة الدين الإسلامي تزداد تشوها، وما يزيد صورة الإسلام تشوها أيضا هو انتشار فتنة التكفير، واستغل هذا الأمر أعداء الإسلام حيث صوروه لغير المسلمين أن دين الإسلام دين إرهاب و قتل و سرقة و نهب، و قد بلغ ببعض أفراد تلك الطائفة أن استحلت الدماء و الأرواح و الأموال حيث أدى ذلك إلى زعزعة أمن و استقرار المجتمع فمن الأمور المؤلمة حقا أننا نجد اليوم من يرتكب هذه الحماقات و الأعمال والأفعال الدنيئة باسم الإسلام كما نرى و نشاهد و نسمع على شاشات التلفاز ونقرأ على مواقع الانترنت من أعمال العنف و الإرهاب التي تحصد الأرواح والممتلكات والتي ذهب ضحيتها أناس أبرياء منهم كبار السن الركع و الأطفال الرضع و النساء الذين لا يفقهون ما يجرى حولهم فنجد عبر أجهزة الإعلام المختلفة رؤوسا تقطع و عيونا تسمل وأجسادا تسجن وللأسف نجد هذه الحماقات المحزنة تسجل كماركة إسلامية الصنع[1] و بسبب هذا الموقف المحزن ألاَ يحق للعالم الإسلامي أن يتساءل عن المنهل الفكري الذي يستقي منه من يمارس هذه الأفعال و أن يتبرأ من كل من يقوم بهذه الأفعال؟ و إذا كان الواقع اليوم هو كما سبقت

[1] - كتاب الكلمة، مستقبلا لثقافة الإسلامية في ضل ثورة المعلومات و تحديات العولمة، العدد الرابع، 2007 ، صدر عن منتدى الكلمة، دار الفلاح، بيروت ، لبنان ، ص 15.

الإشارة إليه، فإن عزاءنا في ما شهد به التاريخ من براءة الدين الإسلامي من هذه الأوصاف (براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام) فبرجوعنا إلى التاريخ ندرك أن التكفير سلوك منحرف عن سلوك الأمة الإسلامية و مواقف علمائنا و أنه كان في كثير من الأحيان خاضع لأهواء شخصية و معايير سياسية لا دينية كما ندرك أن الأصل عند المسلمين هو الاعتدال و الوسطية لا التكفير والخروج عن الجماعة قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (سورة البقرة: 143).

2- التهميش و غياب العدالة الاجتماعية :

لا شك أن المال و الثروة من العناصر الأساسية التي تقوم بها المجتمعات المعاصرة، لأنه مع تعقد الحياة و تشابكها و خاصة في المدن أضحى المال عنصرا أساسيا في الحياة الاجتماعية، كما أن المهام الحديثة للدولة و التطور المعرفي الذي مكن الناس من الإطلاع على كل الأمور جعل الناس يراقبون الحكومات و يلاحظون صرف المال العام و لا سبيل هنا أمام الدولة إلا السعي من أجل تحقيق العدل في توزيع الثروة إذا أرادت أن تحقق الأمن والاستقرار في المجتمع أما إذا لم تحقق الدول و الحكومات التوزيع العادل للمال العام والثروة وأصبح الاستئثار بالمال و الامتيازات هو الطابع الغالب فعندها يكون من السهل الخروج و التمرد على المجتمع و السلطة و تبرير ذلك بمختلف الوسائل والأساليب و لعل أقربها في بلداننا العربية و الإسلامية و الاعتماد على النصوص الدينية[1]

[1] - السعيد رحماني ، المرجع السابق، ص 415.

و بالتمعن و دراسة واقع العالم العربي و الإسلامي نلاحظ أهم ما يتميز به هو التخلف والفقر العام و سوء توزيع الثروة على أفراد المجتمع مما يؤثر سلبا على كل مناحي الحياة و هذا يؤدي بالضرورة إلى ظهور ظاهرة التكفير والعنف وهذا كله راجع للعامل المتصل بالظلم وسوء توزيع الثروة.

3- التجريح للمخالفين في الرأي إلى حد التكفير :

تعتبر حركة محمد عبد الوهاب من ناحية المنهج الذي يتبعه أقرب إلى المنهج الظاهري أو القراءة السطحية للنصوص التي تقف عند ظاهر النص، ولا يتجاوزه إلى البحث عن المعاني والأحكام التي يمكن أن تلاحظ في التشريع والحكم.

وقد بين الشيخ يوسف القرضاوي بعض خصائص ما يمكن تسميته الظاهرية الجدد، ومنهم مدرسة محمد عبد الوهاب، وذكر من تلك المميزات التخريج للمخالفين في الرأي ومحاولة حمل الناس على رأي واحد، وإلغاء الآراء الأخرى ولو كانت من عالم مشهود له بالعلم والمعرفة والثقة، فلا يقف الحرفيون عند الإنكار على الآخرين بل يذهبون إلى حد التجريح والإساءة وإساءة الظن والتبديع والتفسيق والتكفير، فالأصل عند رجال هذه المدرسة هو الاتهام(1)، وهذه الأفكار المتحجرة هي التي تؤثر سلبا على العلاقات الدولية مما يعلها تدخل في تصادم وصراع مستمرين، كل واحد ينعت الآخر بالتخلف والتحجر.

خاتمة:

التكفير إذا نظرنا إليه نظرة فاحصة و دقيقة نجده عبارة عن قراءة مريضة لنصوص المخالفين والحكم عليهم بما يمليه التعصب و الهوى، فمن الأخطاء التي يقع فيها المكفرون و التي أدت بهم إلى الحكم على الناس بالتكفير كما حكموا

[1]- الشيخ يوسف القرضاوي، دراسة في مقاصد الشريعة، دار الشرق، القاهرة، ط 1، 2006، ص 53.

عليهم من قبل بملازمة المذهب هو ما يعرف عند الكثير من الباحثين في الفكر الإسلامي المعاصر بالقراءة المريضة التي يتناولون بها نصوص المخالفين لهم وأقوالهم و هذه القراءة المريضة ترتكز على أمرين هما:

- إما القراءة الظاهرية الحرفية للنص أي قراءة سطحية.
- إسقاط منهج الجرح و التعديل عليهم و نقله إلى هذه النصوص و أصحابها.

إن هذه القراءة المريضة المتأصلة و المتمكنة في عقول أصحابها و قلوبهم وهي التي سولت لهم القول بكفر الكثير من المسلمين من العلماء و من العوام دون تمييز فالسيد قطب[2] مثلا حكم عليه أصحاب هذه القراءة بالكفر لأنهم قالوا بأنه يقول بوحدة الوجود و ما شبه ذلك بالنظر لأن هؤلاء قد شوّهوا علما جليلا اسمه "الجرح والتعديل" فجعلوه مطية لادعاءاتهم وتصفية حساباتهم و لذا يعتبر التكفير من أخطر الظواهر التي عرفها المجتمع الإسلامي منذ مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عثمان رضي الله عنه إلى يومنا هذا و إن آثار التكفير المدمرة تمس الدين والإنسان والمجتمع والدولة، ويؤدي بالمقابل إلى صراع وتصادم في العلاقات الدولية التي نحن في أمس الحاجة إليها، ولذا فإن أفضل وسيلة لمواجهة الفكر التكفيري هو الحوار والمناقشة العلمية البناءة التي يتولاها علماء الأمة أسوة بما فعله ابن عباس والإمام علي كرم الله وجهه.

[2]- السعيد رحماني، المرجع السابق، ص 340.

قائمة المراجع

1. السحمراني أسعد، التطرف و المتطرفون، دار النقاش، لبنان، ط1، 1999

2. السعيد رحماني، ظاهرة التكفير في الفكر الإسلامي المعاصر، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، 2007-2008.

3. الشيخ يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود و التطرف، الدوحة، قطر، كتاب الأمة، 1406هـ.

4. الشيخ يوسف القرضاوي، دراسة في مقاصد الشريعة، دار الشرق، القاهرة، ط 1، 2006.

5. كتاب الكلمة، مستقبلا لثقافة الإسلامية في ضل ثورة المعلومات و تحديات العولمة، العدد الرابع، ط 2007 ، صدر عن منتدى الكلمة، دار الفلاح، بيروت، لبنان.

6. عبد العالي دبلة وبلقاسم سلاطنية، من حوار الثقافات إلى صدام الحضارات، مجلة الاحياء، كلية العلوم الاسلامية والاجتماعية، جامعة باتنة 2002.

7. علي إبراهيم، العلاقات الدولية في وقت السلم، دار النهضة العربية، 1989

8. عواشرية رقية، صور الإسلام عند الغرب ،مجلة الصراط ،كلية العلوم الاسلامية، الجزائر2004.

9. سعد الدين سيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة رحاب، الجزائر 2002.

Le petit Larousse grand format, 1996, Larousse paris